خدمة كتب التاريخ العام للسيرة النبوية:

دراسة في المناهج والقيمة المصدرية

لعبيدي بلقاضي

دكتوراه في الفقه والأصول جامعة محمد الخامس بالرباط

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي مادة التربية الإسلامية

الملخص:

يتناول هذا المقال مكانة كتب التاريخ العام بوصفها أحد أهم المصادر التي أسهمت في حفظ السيرة النبوية ونقل أحداثها، مبرزا دور المؤرخين المسلمين في تدوينها ضمن مؤلفاتهم التاريخية الجامعة، ويهدف إلى بيان مفهوم التاريخ العام، واستعراض أبرز المصنفات التي اعتنت بالسيرة النبوية، وتحليل مناهج كبار المؤرخين، مثل خليفة بن خياط، والطبري، واليعقوبي، والمسعودي، في عرض أحداث السيرة وتوثيقها، كما يناقش البحث أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين في التعامل مع الروايات التاريخية، ويبرز مزايا كتب التاريخ العام وما يؤخذ عليها من حيث التساهل في إيراد بعض الأخبار، مما يقتضي إخضاعها للنقد العلمي والتحقيق، وقد خلص البحث إلى أن كتب التاريخ العام تمثل مصدرا أساسا لا غنى عنه في دراسة السيرة النبوية، لما حفظته من روايات وأحداث ضاع كثير من أصولها، مع ضرورة الاستفادة منها في ضوء قواعد النقد التاريخي والحديثي.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، التاريخ العام، مصادر السيرة، النقد التاريخي.

Abstract :

General History Books as a Source for the Prophetic Biography: An Analytical Study of Their Scholarly Value and Historical Methodology This study examines the role of general history books as one of the principal sources for preserving and documenting the Prophetic Biography (Sīrah). It highlights the contribution of Muslim historians who incorporated the events of the Prophet's life into their comprehensive historical works. The research aims to define the concept of general history, review the most prominent historical works concerned with the Sīrah, and analyze the methodologies adopted by leading historians such

as Khalīfah ibn Khayyāṭ, al-Ṭabarī, al-Yaʿqūbī, and al-Masʿūdī in narrating and documenting the events of the Prophet's life. It also discusses the similarities and differences between the approaches of hadith scholars and historians in dealing with historical reports, while evaluating the strengths and limitations of general history books, particularly regarding the inclusion of weak or unverified narrations. The study concludes that general history books constitute an indispensable source for the study of the Prophetic Biography, as they preserve numerous historical accounts whose original sources have been lost. Nevertheless, these works should be utilized in accordance with the principles of historical and hadith criticism.

Keywords: Prophetic Biography (Sīrah), General History, Sources of Sīrah, Historical Criticism.

مقدمة:

إن المكتبة الإسلامية تزخر بما لا يحصى من المؤلفات التي كتبها العلماء حول السيرة النبوية، وعندما استهل التأليف في تاريخ الإسلام كان علم السيرة نواته ومنطلقه، الشيء الذي جعل أوائل المؤرخين المسلمين يولون الأهمية لأخبار ووقائع عصر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من ابتدأ كتابه بها، ومنهم من اختصر أخبار الأوائل بما تضمنته من سير الأنبياء، الذين ذكرهم القرآن لينتقل من تلك الأخبار إلى مرويات السيرة، ثم بقية حقب التاريخ إلى عصر المصنف، ولم يكن للعرب في الجاهلية تاريخ مكتوب، غير أنه كانت لهم اهتمامات تاريخية من خلال شغفهم بالأيام و القصص و الأنساب ورواية اخبار الماضين، كما قام الشعر عندهم بدور كبير في تقرير مفهوم التاريخ وإن لم يكن للشعراء من قصد إلى ذلك بما خلده من أحوالهم ومآثرهم في الحرب والسلم، حتى أصبح بذلك من المصادر المهمة لمعرفة تاريخ ما قبل الإسلام عقديا و سياسيا و اجتماعيا[1].

لقد اهتم المؤرخون بالسيرة النبوية؛ لأنها تعتبر النواة الأولى، والأساس الذي بني عليه تاريخ الإسلام كله، وهي التي كانت حافزا للمسلمين على كتابة التاريخ، ورفعته إلى مصاف العلوم الإسلامية، وأحلته مكانة مهمة ضمنها، وقد أفرد المؤرخون المسلمون جزءا مهما من مؤلفاتهم للحديث عن السيرة النبوية، وعدت كتاباتهم اللبنة الأولى في تاريخ الإسلام، وكان لتدوين الحديث أثره الواضح في التدوين التاريخي بالاستناد إلى الرواية الشفوية، وسار المؤرخون الموسوعيون في

[1]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، للدكتور عبد الرزاق هرماس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدير المغرب، الطبعة الأولى (ص : 205).

تتبع الأخبار منذ بدء الخليقة وحتى عصر المؤلف مرورا بالسيرة النبوية التي خصصوا لها فصلا أو أكثر في كتبهم، متتبعين مراحل حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وحوادث السيرة النبوية على أساس التاريخ الزمني، لهذا أصبحت كتبهم مصدرا مهما لا غنى عنه في كتابة السيرة النبوية الشريفة، وبرز في ذلك أئمة علماء مؤرخون كالإمام ابن جرير الطبري والمسعودي وابن الأثير وغيرهم.

إن لكتب التاريخ العام خطورة كبيرة في توجيه الفكر الإنساني؛ وفي طمس معالم الحقيقة أو إظهارها، وقد نبه أستاذنا الدكتور فاروق حمادة حفظه الله من أنه لابد لقارئ أي كتاب تاريخي أن ينتبه لقاعدتين أساسيتين لا يغفل عنهما وهو يعيش مع الأقوام الماضين والأشخاص الذين لهم دور في التاريخ أي تاريخ كان، وفي تاريخ الإسلام خاصة، أما القاعدة الأولى فتتمثل في النزعة المذهبية للمؤرخ والثانية في النزعة السياسية له[1].

وقد ألف العلماء كتبا كثيرة في التاريخ، تتسع للعديد من الأغراض، وتتنوع مناهج أصحابها في تناول الأحداث، ولذلك سأقتصر في هذه المقالة العلمية على بيان اهتمام المؤرخين بالسيرة النبوية على كتب التاريخ العام وهي التي تعنى بالتأريخ للدول والأمم والأقوام بشكل عام قبل الإسلام وبعده، وكثيرا ما تبدأ هذه الكتب موضوعاتِها من بدء الخليقة، وينتهي كل مؤلف بعصره أو قريب منه.

المبحث الأول: تعريف التاريخ العام:

1) **التاريخ لغة:** هو كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه ومنه فلان تاريخ قومه في الجود، وقيل عنه إثبات الشيء، وأرخ يؤرخ تأريخا، والتأريخ بالهمزة، ليس بعربي أخذ من أهل الكتاب[2].

وتاريخ مصدر من أرخ، ويقال: ورخت الكتاب توريخا لغة تميم، وأرخته تأريخا لغة قيس، وتاريخ وتاريخان وتواريخ وأرخ كتابك هذا وورخه، وهو اللفظ الشائع عند العرب؛ قال الصولي: وسألت أبا ذكوان عن أرخت وورخت فقال مثله أكدت الأمر تأكيدا، ووكدته توكيدا لغة تميم[3]، ولفظ "تأريخ" عربي، بمعنى العهد أو الحساب أو التوقيت أي تحديد الوقت؛

[1]- مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة (ص: 139)، دار القلم دمشق سوريا الطبعة الرابعة (1435هـ).
[2]- لسان العرب لابن منظور، تحقيق أحمد فارس، طبعة دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 2010م (113/1).
[3]- أدب الكاتب لأبي بكر بن محمد بن يحيى الصولي، طبعة المكتبة العربية ببغداد، تحقيق محمد بهجة الأثري، الطبعة الأولى 1341هـ (ص:189).

وقيل أن لفظ "تاريخ" تعريب لكلمة "ماه" روز" الفارسية إذ أن معنى كلمة ماه هي: القمر، وروز معناها: اليوم، ومعناه حساب الشهور والأيام[1].

وكلمة "تاريخ" تعني كلا من الزمن، والحقبة، وقد استخدمت في الآداب العربية مع أخبار التقويم الهجري[2].

2) التعريف الاصطلاحي:

يبدو أن استخدام كلمة "التاريخ" بالمعنى الاصطلاحي لم تظهر عند العرب المسلمين لا في الأدب الجاهلي، ولا في القرآن الكريم، ولا في الحديث النبوي الشريف، ولم تستخدم إلا عندما اتخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه التقويم الهجري للدولة الإسلامية الناشئة[3].

وقد عرف السخاوي التاريخ بقوله: وفي الاصطلاح التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة، والأئمة، ووفاة، وصحة وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ...[4].

3) كتب التاريخ العام:

إن كتب التاريخ العام هي التي تعنى بالتاريخ للأمم والدول بشكل عام قبل الإسلام وبعده، وكثيرا ما تبدأ من بدء الخليقة، وينتهي كل مؤلف بعصره، وهذا النوع من المؤلفات كثير جدا، فهي إذن الكتب التي تعنى بالتأريخ للدول والأمم والأقوام، وهي على نوعين[5]:

أ- كتب ابتدأ مؤلفوها بتاريخ الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ثم تناولوا بعد ذلك تاريخ العرب قبل الإسلام ليصلوا إلى عصر المبعث وما بعد ذلك حتى زمن المصنف.

ب- وكتب استهلها مصنفوها بالمولد النبوي، مرورا بتاريخ صدر الإسلام إلى الفترة التي عاش فيها المصنف.

---

[1]- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لشمس الدين السخاوي، ص: 6، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1983م.

[2]- المصدر السابق نفيه.

[3] - علم التاريخ، دراسة في المناهج والمصادر، الدكتور إسماعيل سامعي (ص:15)، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

[4]- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين السخاوي (ص:07).

[5]- مصادر السيرة النبوية للدكتور عبد الرزاق هرماس (ص:204).

وقد ذكرنا في هذا المقال كتب التاريخ العام احترازً من كتب التاريخ المحلي، وهي على قدرها وأهميتها إلا أنها تركز وتعمق اهتمامها بتاريخ اقليم محدد، أو إقليمين محددين معا ولا تتضمن في الغالب ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة.

المبحث الثاني: كتب التاريخ العام مصدرا للسيرة النبوية.

تعنى كتب التاريخ العام بالتأريخ للدول والأمم والأقوام، وهي على نوعين:

أ- كتب ابتدأ مؤلفوها بتاريخ الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، ثم تناولوا بعد ذلك تاريخ العرب قبل الإسلام ليصلوا إلى عصر المبعث، ثم الخلافة الراشدة، وما تلاها من أخبار دولة الإسلام حتى زمن المصنف.

ب- كتب استهلها مصنفوها بالمولد النبوي، مرورا بتاريخ صدر الإسلام إلى الفترة التي عاش فيها المؤلف.

ومن أشهر كتب التاريخ العام التي اهتمت بالسيرة النبوية الشريف نذكر ما يلي:

1-تاريخ خليفة بن خياط العصفري (ت 240ه).

2- كتاب المحبر، لابن حبيب البغدادي (ت245ه).

3- تاريخ اليعقوبي، (توفي بعد 292ه).

4- فتوح البلدان، لأحمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت 279ه).

5- تاريخ الأمم والرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310ه)) .

6- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (346ه).

7- البدء و التاريخ لابن طاهر المقدسي (ت 355ه).

ويلاحظ على هذه الكتب أنها نقلت لنا المرويات، التي جمعها المحدثون والأخباريون وأهل السيرة، خلال القرن الثاني، ومن أهم مواردها كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى، وعلي بن محمد المدائني، ومحمد بن السائب الكلبي، وابنه هشام، وسيف بن عمر التميمي، فضلا عن مرويات بن إسحاق، وموسى بن عقبة.[1]

وبالنظر إلى هذه الكتب، نجد خليفة بن خياط بمنهجه في التصنيف الذي يعتمد على الاختصار، يكثر من إيراد الأخبار المشهورة عند أهل السير، على عكس الطبري، الذي يعتمد البسط والإكثار من إيراد الروايات العديدة، استنادا إلى مصادر مختلفة، بعضها لا يستوفي شروط الصحة وأغلب كتب التاريخ تورد الصحيح والضعيف والواهي والموضوع في أخبار السيرة، مما يجعل دارس السيرة محتاجا إل تمحيص هذه الروايات قبل الاستشهاد بها.

المبحث الثالث: مناهج المؤرخين في دراسة السيرة النبوية.

عندما ظهرت مدرسة التاريخ في كتابة السيرة النبوية، وجدت في الساحة اتجاهين اثنين متجذرين لهما أتباع ونفوذا:

"**الأول:** يَمْتَحُ أصحابُهُ من القصص الشعبي والخيال والأساطير، التي يرويها القصاص في بلاد العرب عن ملوك جنوب الجزيرة العربية، وفتوحاتهم دون سياق تاريخي، أو ربط بنظام سرد ضمن مجرى التاريخ العالمي أو العربي وخير من يمثل هذا الاتجاه هو عبيد بن شرية، ووهب بن منبه، ويظهر فيها الأثر اليوناني والفارسي واضحاً.

والاتجاه الثاني: هو اتجاه أصحاب الحديث، الذين لا يرون كتابة السيرة النبوية وتاريخ الإسلام خارج إطار منهج المحدثين، ويعتبرون السيرة النبوية فرعا من فروع الحديث النبوي الشريف يسري عليها في الرواية والدراية ما يسري عليه، وقد نشأ هذا الاتجاه في المدينة المنورة، ثم نما وترعرع خارجها في كل الاتجاهات.[2]

وهنا لابد من إثارة بعض الإشكالات التي تواجه الباحث في مناهج المؤرخين في كتابة السيرة النبوية، ومن أبرزها تعريف المؤرخ الذي نتحدث عنه، فما لم نحدد من هو المؤرخ فإننا سنكون أمام مناهج متعددة، وليس منهجا واحدا، إذ كل من القاصّ والإخباري المؤرخ و المحدث يمارسون عملية التأريخ بشكل يجعل بعضهم يتميز عن الآخر، و أحيانا قد تتداخل هذه الصفات لتجتمع في شخص واحد، يقول الدكتور **أكرم ضياء العمري**: "وبعض المؤلفين جمع بين صفتي

[1]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين الدكتور عبد الرزاق هرماس (ص: 146).
[2]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين الدكتور عبد الرزاق هرماس (267).

المحدث والمؤرخ، مثل محمد بن إسحاق، وخليفة بن خياط، و يعقوب بن سفيان الفسوي ومحمد بن جرير الطبري، فهؤلاء أفادوا من منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد، ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق سرد الأسانيد، ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق جمع الأسانيد أحيانا أو سرد الروايات التي تشكل وحدة موضوعية تحت عناوين دالة"[1].

إن المؤرخ الذي نتحدث عنه يتميز عن غيره، بأنه جمع بين طرائق الأخباريين ومناهج المحدثين، فاستعمل الأولى في مكانها المناسب، وملأ بها فجوات كثيرة، واستعمل الثانية كذلك في مكانها المناسب، وحصَّن بها مرويات السيرة، وبعمله هذا تطورت الكتابة التاريخية في الإسلام خلال القرون الأولى إلى أن بلغت أوجها على يد محمد بن جرير الطبري[2]، وبالتالي فقد عرض المؤرخون السيرة النبوية عرضا واضحا متسقا، و استوفوا المادة العلمية من المصادر المختلفة التي سبقتهم ، بتلخيص واختصار، ووسعوا من أفقها عندما وضعوها في سياق الرسالات الإلهية، و أفردوها بموقع متميز ضمن أحداث التاريخ العالمي، و اعتنوا بترتيب الواقع ترتيبا زمنيا، وصاغوا الأخبار في وحدة عضوية متينة أعادت للوقائع حيويتها وقوتها و أضافوا إلى المرويات التي نقلوها جهودهم الشخصية النقد و التمحيص ، و مشاهداتهم الخاصة لمواضع السيرة[3].

ولعل أكبر ما أخذ عليهم من طرف المخالفين لهم من أصحاب مدرسة الحديث هو تسامحهم في التعامل مع المرويات والرجوع إلى بعض المصادر غير الموثوقة ونوازعهم المذهبية والسياسية التي أثرت في موضوعيتهم في كتابة السيرة النبوية.

المبحث الرابع: مدرسة أهل السيرة والتاريخ.

يتميز أصحاب هذه المدرسة بميل كبير لمنهج أهل الحديث، وأغلب رجال هذه المدرسة ثقات حفاظ صدوقون مشهود لهم بالثقة والأمانة في علم المغازي والسير، ولم يُطْعَن في واحد منهم طعن بينّ إلا الواقدي مع الاعتراف له بأنه صاحب كتاب عظيم في بابه.

لقد أفاد أصحاب مدرسة السيرة والتاريخ من مناهج المحدثين، وبجهودهم أمكن للسيرة أن تصبح علما مستقلا، ومكن للتاريخ الإسلامي أن يتطور ويعلو بنيانه، وسأقتصر في الحديث هنا عن أبرز أعلام هذه المدرسة ومنهم:

---

[1]- السية النبوية الصحيحة الدكتور أكرم ضياء العمري، طبعة مركز بحوث السيرة والسنن بجامعة قطر 1991م.

[2]- مصادر السيرة النبوية، هرماس (ص: 268).

[3]- نشأة التدوين التاريخي عند العرب، حسين نصار، منشورات إقرأ، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1400هـ - 1980م، (69 – 70).

خليفة بن خياط العصفري 240هـ:

أولا : ترجمته[1]:

هو أبو عمر خليفة بن خياط الشيباني العصفري المعروف بشباب، كان عالما بالنسب والسير، وأيام الناس، روى عن ابن علية، وبشر بن المفضل، وأبي داود الطيالسي، وابن عيينة، وابن مهدي، ويزيد بن زريع وحدث عنه البخاري في صحيحه وتاريخه، وعبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان[2]، تلقى علمه في البصرة، ولم يرحل عنها في طلب العلم، وأغلب شيوخه بصريون ذكر له ابن النديم خمسة كتب هي الطبقات، التاريخ، طبقات القراء، وتاريخ الزمنى والمرضى والعميان، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته.[3]

وكانت وفاته سنة مائتين وأربعين للهجرة[4].

أكثر نقاد الحديث يوثقون خليفة بن خياط، لكنه مع ذلك لم يسلم من بعض المغامز، فقد قال

عنه العقيلي: "حدثني زكريا بن يحيى الساجي، قال حدثنا الحسيني بن يحيى الأزدي، قال سمعت علي بن المديني يقول شباب بن خياط "شجر يحمل الحديث"، وقال فيه ابن أبي حاتم الرازي: "وسألت أبي عنه، فقال: لا أحدث عنه هو غير قوي، أما بقية العلماء فقد وثقوه، وأخرجوا له في كتبهم، قال عنه الذهبي، "حدث عنه البخاري بسبعة أحاديث أو أزيد في صحيحه و بقي بن مخلد وحرب الكرماني، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، و أبو بكر بن أبي عاصم ... وكان صدوقا نسابة عالما بالسير والأيام و الرجال وثقه بعضهم وقال ابن عدي: هو صدوق من متيقظي الرواة، قلت: لينه بعضهم بلا حجة.[5]

---

[1]- مصادر ترجمته: انظر سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي 11/472 نشر مؤسسة الرسالة بيروت و نشرة مكتبة الصفا بالقاهرة، الطبعة الأولى، و وفيات الأعيان لابن خلكان ،2/243، دار صادر، بيروت - لبنان، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، طبعة دار ابن كثير، الطبعة الأولى 1986.

[2]- شذرات الذهب لابن العماد، 2/94.

[3]- الفهرست لابن النديم (ص: 238)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1986م.

[4]- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدن الذهبي، (ج11/ص: 473).

[5]- سير أعلام النبلاء، (ج11 / ص: 473).

ويكفي خليفة بن خياط توثيق البخاري له في التاريخ والذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن الكبير، وابن حبان في الثقات، والذهبي في تذكرة الحفاظ، وابن خلكان في الوفيات وابن العماد في شذرات الذهب، وابن حجر في هدي الساري، وفي تهذيب التهذيب وغيرهم..."[1].

ثانيا: السيرة النبوية في تاريخ خليفة بن خياط

خص خليفة بن خياط سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفصل مختصر من تاريخه في نحو أربعين صفحة ولئن كان في فصول التاريخ مضربا عن الإسناد إلا قليلا، فإننا نجده في السيرة النبوية يكتب بمنهج المؤرخ الذي يميل إلى طرائق المحدثين، فكل رواياته تقريبا نجدها تقريبا مسندة إلى قائليها وأول من يروي عنه سفيان بن عيينة ويزيد بن زريع وغندر وإسماعيل بن علية.

وقد شملت مادة السيرة عند خليفة بن خياط الأحداث المهمة المتعلقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم من المولد إلى الوفاة بروايات مختصرة غالبها لابن إسحاق، أعطى من خلالها هيكلا للسيرة النبوية دون تفصيل[2].

ومن مميزات خليفة بن خياط في كتابة السيرة النبوية خلو مروياته من الاستشهاد بالأشعار، مخالفا بذلك أهل السير والمؤرخين، الذين يهتمون بالأشعار: صحيحها، وسقيمها، كما اهتم بجوانب من السيرة النبوية غالبا ما يغفلها المؤرخون مثل ذكر قوائم المشاركين في الأحداث، وبخاصة في السرايا والمغازي، فقد ذكر العديد من القوائم، مثل من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ببدر، ومن استشهد معه يوم أحد، ومن قتل من المسلمين يوم خيبر، ومن استشهد في الطائف، وعماله صلى الله عليه وسلم ورسله وعماله على الصدقات.

وقد وقف على كثير من الإفادات الاجتماعية والاقتصادية المهمة من أجل هذا كله يعتبر كتاب تاريخ خليفة بن خياط مصدرا لا غنى عنه لدارس السيرة النبوية؛ لأن صاحبه محدث ومؤرخ، ولأنه أشار إلى بعض الأحداث التي لم يذكرها غيره، ودقق تواريخه، وكان وفيا لمنهجه في الاختصار والإيجاز.

---

[1]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين الدكتور عبد الرزاق هرماس (ص: 241).

[2]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين للدكتور عبد الرزاق هرماس (ص:241).

محمد بن جرير الطبري (310هـ).

أولا: ترجمته[1]:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الآملي، ولد بآمل حاضرة إقليم طبرستان، وبها نشا ثم رحل إلى العراق والشام ومصر وأدرك الأسانيد العالية من شيوخه محمد بن حميد، الرازي، الذي كتب عنه أكثر من مائة حديث وأحمد بن محمد الدولابي، ومحمد بن العلاء الهمذاني[2]، كان إماما في السنة، وعُدَّ من طبقة الترمذي والنسائي، إماما في الفقه والأصول، حتى كان له مذهب فقهي مستقل وأتباع.

من آثاره تاريخ الأمم و الملوك، وجامع البيان و تهذيب الآثار و اختلاف الفقهاء، و آداب القضاة، وغيرها، كان ورعا، زاهداً مترفعا عن أموال السلطان راضيا بالقليل من العيش ولم يتزوج، توفي رحمه الله سنة (310هـ).[3]أثنى عليه كثير من العلماء، فقد قال فيه الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره قال الذهبي: كان ثقة صادقا حافظا رأسا في التفسير، إماما في الفقه و الإجماع والاختلاف، علامة في التاريخ و أيام الناس عارفا بالقراءات، وباللغة، وغير ذلك[4].

ثانيا: السيرة النبوية في تاريخ الطبري:

يعد الإمام الطبري رحمه الله من المحدثين الكبار والفقهاء المجتهدين اجتهادا مطلقا، ومن المفسرين الثقات، وقد اعتمد في تاريخه قسم السيرة النبوية على من كتب في هذا الميدان قبله ويروي ذلك بأسانيده، وبما أنه محدث واسع الرواية فهو يروي أحاديث تتعلق بأحداث السيرة، ويكثر الرواية والجمع في الحادثة الواحدة، حتى تشعر أنه يريد استقصاء جميع الأقوال صحيحها وضعيفها وواهيها، لذلك لا يمكن الاستغناء عنه، لا سيما وأن كتابه لا يخلو من إبداء وجهات نظر العالم الفقيه المدقق المطلع، وينطبق عليه منهج النقد الإسلامي كما ينطبق على غيره. فهو كآخرين يسوق الروايات الجمة المتعارضة المتناقضة في الحادثة الواحدة مما لا يصح ولا يقبله العقل ولا يعلق عليها بشيء، لذلك كان مرتعا خصبا لكثير

[1]- انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان، (1/456)، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي 14/267

[2]- معجم الأدباء لياقوت الحموي، (18/50).

[3]- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (14/267).

[4]- سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (14/267).

من الذين تعاطوا تشويه التاريخ الإسلامي، إذ كانوا يأخذون ساقط الروايات وواهيها، وفيها الطعن في الصحابة وغيرهم ويحيلون على الطبري لما له من مكانة علمية تمويها منهم ومخاتلة[1].

وقد أورد الإمام الطبري أخبار السيرة النبوية في الجزء الثاني من كتابه، ثم رتبها حسب التسلسل الزمني، مبتدئا بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنتهيا بذكر الخبر عن اليوم والشهر الذي توفي فيهما صلى الله عليه وسلم وقد جمع الطبري رحمه الله مروياته من مصادر متنوعة، حيث نقل في أحداث المبتدأ عن ابن اسحاق ووهب بن منبه وعبيد بن شرية، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي، أما في أحداث المبعث فقد استند إلى روايات أبان بن عثمان وعروة بن الزبير و شرحبيل بن سعد، وموسى بن عقبة، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن شهاب الزهري، و ابن إسحاق، وابن سعد، والواقدي.[2]

وكثيرا ما نجد الطبري يحيل في أخبار السيرة على كتبه الأخرى، التي سبق أن ألفها، أو التي يعتزم تأليفها، ثم إفراد بعض موضوعات السيرة النبوية بمزيد الشرح والدراسة، كما أنه سار على درب من سبقه من أهل السير والتاريخ في إيراد أشعار السيرة النبوية في مختلف الوقائع، وغالبا ما نجده يكثر من إيراد الأقوال المختلفة ويتدخل بشتى الطرق، فأحيانا ينبه على رأيه في الموضوع، أو ترجيحه وأحيانا يستدرك على أقوال من قبله، وأحيانا يتدخل لتصحيح الخبر وغير ذلك.[3]

ويعتبر الطبري رحمه الله من أكثر كتاب التاريخ تدقيقا وتحقيقا للتواريخ، ويعد كتابه في قسم السيرة النبوية مصدرا لا غنى عنه للدارسين لاحتفاظه بكم مهم من الروايات التي ضاعت أصولها، والتي يمكن جمعها وترتيبها منه، وعلى الخصوص مرويات المغازي الأولى، وسيرة ابن إسحاق.

المبحث الخامس: مدرسة أصحاب التاريخ الصرف:

يغلب على أصحاب هذه المدرسة المنهج التاريخي في التعامل مع نصوص السيرة النبوية رواية ودراية من حيث الأسانيد والتساهل في اختيار المصادر، وتنويعها، وظهور النزعات المختلفة، وبناء هيكل الكتب على الحوليات، وغير ذلك، ومن أشهر المصنفين الأوفياء لنهج هذه المدرسة: ابن قتيبة (280هـ)، في كتاب المعارف، واليعقوبي، كان حيا (292هـ).في تاريخه و المسعودي (346هـ)، في مروج الذهب وغيرهم...

---

[1]- مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة (ص: 84).

[2]- مناهج التأليف في السيرة النبوية، محي الدين ديب مستو (ص:341).

[3]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين (ص:248).

1) أحمد بن جعفربن واضح اليعقوبي (كان حيا 292هـ).

أولا: ترجمته:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، الأخباري الكاتب المؤرخ، من أهل بغداد كان جده من موالي المنصور العباسي، وكان كثير الأسفار، رحل إلى المغرب، وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهند، وزار الأقطار الإسلامية، له العديد من الآثار، منها: تاريخه انتهى به إلى خلافة المعتمد العباسي، وكتاب البلدان، وكتاب أخبار الأمم السالفة ومشاكلة الناس لزمانهم[1].

وقد اختلف في سنة وفاته، حيث ذكر صاحب معجم الأدباء أنه توفي سنة (284هـ)، والراجح أنه توفي عام (292هـ)[2].

ثانيا: السيرة النبوية في تاريخ اليعقوبي:

تناول اليعقوبي السيرة النبوية في الجزء الثاني من تاريخه، ويقول عن ذلك في المقدمة: "وابتدأ كتابنا هذا من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبضه الله إليه، وأخبار الخلفاء بعده"[3].

وقد اعتمد اليعقوبي في تاريخه على مصادر مهمة مما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتواريخ كما صرح بذلك، ويميل أسلوب اليعقوبي إلى الإيجاز، والاختصار، مكتفيا بالإشارة إلى أهم أحداث السيرة النبوية كالمولد والمبعث والهجرة والمغازي والشمائل والوفاة وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتميز منهجه كذلك بما يلي:

- حذف الأسانيد مطلقا والاكتفاء بالإشارة إليها في المقدمة.
- الإحالة أحيانا على بعض الأخباريين وكُتَّاب السيرة ورواتها مثل محمد بن السائب الكلبي ومحمد بن إسحاق وابن هشام وغيرهم[4].
- الاهتمام بتحديد تواريخ أحداث السيرة والتدقيق فيها.

---

[1] - معجم الأدباء ياقوت الحموي (153/5).

[2]- معجم الأدباء ياقوت الحموي (154/5).

[3]- تاريخ اليعقوبي للإمام أحمد ابن أبي بكر اليعقوبي (2/3-4)، دار صادر بيروت لبنان الطبعة الثانية، 1430هـ.

[4]- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين الدكتور عبد الرزاق هرماس (ص: 255).

- إيراد الأقوال المختلفة حول الواقعة الواحدة، والإشارة إلى الآراء المرجوحة، بقوله، "وقيل"، أو "ويقال"، وأحيانا نجده يميل إلى ترجيح ما رواه جعفر ابن محمد.
- عدم الاهتمام برواية شعر السيرة، حيث لم يرو سوى أشعار قليلة في مواضع متفرقة، لا تزيد على البيت والبيتين، وقد أشار إلى ذلك في المقدمة، بقوله: "وجعلناه كتابا مختصرا حذفنا منه الأشعار "[1].
- إهمال ذكر الأنساب إلا ما كان من نسبه صلى الله عليه وسلم ونسب أمهاته صلى الله عليه وسلم.
- عدم الاستشهاد بالآيات القرآنية، وعلى الخصوص في الوقائع التي نزل فيها شيء من القرآن.

علي بن الحسين المسعودي (346هـ).

أولا: ترجمته[2]:

هو علي بن الحسين بن علي أبو الحسن المسعودي، من ذرية الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مؤرخ ورحالة وبحاثة من أهل بغداد، أقام بمصر وتوفي بها. رحل في طلب العلم إلى أقاصي البلاد، فطاف فارس وكرمان سنة 309هـ، حتى استقر في إصطخر، ثم ركب البحر إلى بلاد الصين وطاف البحر الهندي إلى مدغشقر، لم يفتر في أثناء أسفاره عن الاستقصاء، واكتشاف العلوم على اختلاف موضوعاتها، فجمع من الحقائق التاريخية ما لم يسبقه إليه أحد، عرف بغزارة التأليف وجاوزت كتبه الثلاثين مؤلفا، تكشف عناوينها عن سعة اطلاعه وعلمه ومن أهمها مروج الذهب ومعادن الجوهر، وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، والتنبيه والإشراف وأخبار الخوارج، وذخائر العلوم، وغيرها.

ثانيا: السيرة النبوية في كتاب مروج الذهب

خص المؤرخ المسعودي السيرة النبوية بالجزء الثاني كاملا من تاريخه، يقول عن ذلك في المقدمة بعد ان أورد محتويات كتابه: " إلى ما في تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء والرسل والأتقياء، إلى أن كرم الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم، فذكرنا مولده ومنشأه، وبعثته ومغازيه وسراياه، إلى أوان وفاته ... "[3].

---

[1]- تاريخ اليعقوبي (ج4 ص:4).

[2] - انظر ترجمته في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، (4/224)، تحقيق محمد المرعشلي، بيروت، لبنان، دار إحياء العربي، الطبعة الأولى (1415هـ).

[3]- مروج الذهب و معادن الجوهر للمسعودي، (ص: 10 ،11) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بالقاهرة.

وأهم ما يميز منهجه في كتابة السيرة ما يلي:

- عرض السيرة بإيجاز في محاورها الكبرى مثل النسب النبوي والمولد والمبعث والهجرة والمغازي والوفاة النبوية.
- اعتماد التسلسل الزمني للأحداث حسب السنوات.
- ربط أحداث السيرة بالتاريخ الجهوي والعالمي في إحالاته على الأحداث التاريخية القديمة، أو الأحداث المتزامنة مع وقائع السيرة، ومن أمثلة ذلك ربطه بين تاريخ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ اعتلاء كسرى أبرويز عرش الفرس، وبين تاريخ يوم التحالف بالربدة، بل وتاريخ هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض[1].
- يحيل في مصادره على أقطاب علم السيرة النبوية مثل محمد بن إسحاق، والواقدي
- إيراد الأقوال المختلفة حول الوقائع، مع الترجيح بينها أحيانا، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده عندما عرض لخلاف العلماء في أول من أسلم، حيث قال: "وقد اختلف في أول من أسلم، فمنهم من رأى أن أبا بكر الصديق كان أول الناس إسلاما و أسبقهم إيمانا، ثم بلال بن حمامة، ثم عمرو بن عبسة، ومنهم من ذهب إلى أن أول من أسلم زيد بن حارثة ، ثم خديجة ثم على كرم الله وجهها. وقد يرجح أحيانا بين هذه الأقوال كما فعل عندما عرض تضارب أقوال العلماء في عمر النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في ذلك: "وقد تتوزع في مقدار عمره عليه السلام، وقد قدمنا ما روي في ذلك عن ابن عباس، وهو ما ذكره حماد بن سلمة، عن أبي حمزة عن ابن عباس، وقد روي عن ابن هريرة مثل قول ابن عباس، وذكر عن يحيى بن سعيد أنه سمع ابن المسيب يقول: "أنزل" على رسول الله صلى الله عليه وسلم، القرآن، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وأقام بمكة عشرا، وبالمدينة عشرا، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة"[2].
- الإقلال من الاستشهاد بالقرآن الكريم، حيث نجده قليلا ما يورد الآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة النبوية، كما فعل عندما أشار إلى مرحلة الدعوة سرا، حيث استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم، وأنذر عشيرتك الأقربين "[3].

---

[1]- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (282/2).

[2]- مروج الذهب للمسعودي (230/2).

[3]- مصادر السيرة النبوية وتقويمها، فاروق حمادة (ص:263).

- عدم الاهتمام بالأسانيد إلا نادرا، وذلك لأنه ذكر مصادره في مقدمة كتابه فأغنت بذلك عن ذكر الأسانيد، حيث لم يذكر في فصل السيرة النبوية إلا إسنادين اثنين[1].
- عدم الاعتماد بالأنساب إلا قليلا عندما تناول إلى جانب النسب النبوي، بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا مرضعته حليمة السعدية.

خاتمة:

لقد كتب في السيرة النبوية قديما وحديثا العديد من الكتاب من مختلف المناهج والمشارب منهم محدثون ومؤرخون، ولقد تولت عناية الله عز وجل سيرة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وحفتها بالرعاية والحفظ، وذلك بأن قيض الله لها أعلاما صانوها من الضياع والتحريف، وذلك من خلال توثيق أصولها توثيقا علميا.

إن السيرة النبوية ليست كبقية السير الأخرى، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وما ميزه الله به من الفضل وشرفه به من العناية، ولذلك فإن أهم قضية تعرض للباحث في سيرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام هي قضية المصادر التي يعتمد عليها، و قد أبدى أهل السيرة تسامحا كبيرا في التعامل مع أسانيدهم، حيث عمدوا إلى جمع كل المرويات والأخبار المتصلة بالحدث في مكان واحد دون تشدد في قبول المرويات، أو تمحيص للرواة، ولا يمكن بحال الاستغناء عن روايات أهل السير و أخبار المؤرخين؛ لأنها تسهم في إضاءة جوانب كثيرة من السيرة النبوية، و تحدد أزمنتها و أمكنتها ، وتشرح كثيرا من الأحداث الواردة في كتب السنة الصحيحة، وينبغي الاعتراف بأن كلا من المحدثين والمؤرخين قد قدموا خدمات جليلة للسيرة النبوية من خلال ما دونوه وصنفوه من مؤلفات.

لائحة المصادروالمراجع

- أدب الكاتب لأبي بكر بن محمد بن يحي الصولي، طبعة المكتبة العربية ببغداد، تحقيق محمد بهجة الأثري، الطبعة الأولى 1341هـ.
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، لشمس الدين السخاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1399هـ 1983م).

[1]- مصادر السيرة النبوية، فاروق حمادة (ص:263).

- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، تحقيق مجموعة من الباحثين تحت إشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، (1405هـ_1958م).
- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، طبعة مركز بحوث السيرة والسنة بجامعة قطر، 1991م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، طبعة دار ابن كثير دمشق سورية، الطبعة الأولى 1986.
- علم التاريخ، دراسة في المناهج والمصادر، لإسماعيل سامعي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى 1420.
- الفهرست لابن النديم، دار إحياء التراث العربي، تحقيق رضا تجدد بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 2005م.
- لسان العرب لابن منظور، تحقيق أحمد فارس، طبعة دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 2010م.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، باعتناء محمد المرعشلي، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (1415هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بالقاهرة، (1412هـ).
- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين للدكتور عبد الرزاق هرماس الدورة الثالثة، الطبعة الأولى (2007/1428).
- مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة، دار القلم دمشق الطبعة الرابعة. 1435هـ.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، مطبعة دار الغرب الإسلامي، تحقيق إحسان عباس (1993م).
- مناهج التأليف في السيرة النبوية، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب دمشق بيروت، 1419هـ.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، بتحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الأولى (1972م).